سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

مقدمة في التفسير

الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق الحمد وأوفاه، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[الفرقان]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، نشهد أنّه باغ الرسالة وأدّىٰ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فأسأل الله جل جلاله أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن، العاملين به، الذين هم أهل الله وخاصته، وأسأله سبحانه أن يجعل لنا حظا من معرفة كتابه والعلم به والعمل بما أنزل الله جل وعلا فيه وعلىٰ رسوله ﷺ.

كما أسأل المولىٰ جلت قدرته وتعاظمت أسماؤه وصفاته، أسأله أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا وذهاب همومنا وجلاء أحزاننا إنه سبحانه جواد كريم.

هذه الكلمة التي ستكون موجزة بالنسبة لعِظم موضوعها وكثرة فروعه وتفاصيله عُنونت بـ:

مقدمة في التفسير -أو: في أصول التفسير-.

وهذا العنوان (مقدمة) يُعنىٰ به أنه مدخل، إذا تأمله طالب العلم والراغب في معرفة التفسير أمكنه أن يعلم التفسير، وأن يعرف طرقه، وأن يتعلم مصادره، وأن يكون علىٰ بينة وذكر من أصح الطرق التي إذا سلكها صار عالما تفسير القرآن علىٰ وجه الصواب.

والتفسير علم كبير وعظيم ومتنوع، ولهذا ترون أنّ التفاسير في الدنيا بلا عدد كثيرة جدا في أنواع من المدارس المختلفة، منها ما هو من مدرسة الأثر، ومنها ما هو من مدرسة الاجتهاد والاستنباط في أنحاء كثير من علوم التفسير.

ولاشك أن المسلم أعظم ما يعتني به كتاب الله جل وعلا؛ لأنه حجة الله الباقية، ولأنه النذارة كما قال سبحانه: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩]، من بلغه القرآن وكان عالما بحججه عارفا بمعناه، فإنه قد بلغته الحجة وأُقيمت عليه الحجة، وأقام الله جل وعلا عليه النِّذارة.

ولهذا أمر الله جل وعلا عباده بأن يتدبروا القرآن العظيم وأن يقفوا عنده متدبرين متأملين، وهذا في آيات كثيرة من القرآن منها قوله جل وعلا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ وجعلت هذه الآية من سورة ص جعلت من القرآن وإنزال القرآن غايتين:

الأولىٰ: أن يُتدبر القرآن.

والثانية: أن يتذكر أولوا الألباب.

قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني أنزلناه لكي ليتدبر الناس آيات القرآن هذه هي الغاية الأولىٰ التدبر، والتدبر في حقيقته هو التفسير هو المعرفة بمعانيه هو المعرفة لما دلت عليه آيات الله جل وعلا العظيمة في كتابه الكريم.

والغاية الثانية أن يتذكر العباد قال: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وهذا يعني أن من تدبر أيضا فإنه يورث

التذكر ويورث العمل.

فالقرآن أنزل لتأمله ولتدبره ولمعرفة معانيه.

وأنزل أيضا ليحصل للعبد به التذكر؛ يعني أن يعمل به العبد ويتذكر بذلك حق الله جل وعلا عليه، وحقوق الله جل وعلا كثيرة، وجُملها وكثير من تفاصيلها في كتاب الله جل وعلا.

لهذا فإن من فاته تدبّر القرآن والعلم بتفسيره، فإنه يفوته حظ كبير من الغاية التي لها أُنزل هذا القرآن وجعله الله مباركا.

وقال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[الأنبياء]، وقال جل وعلا حاضا عباده علىٰ تدبر القرآن ومعرفة تفسيره ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤]؛ يعني أن من لم يتدبر القرآن فإن علىٰ قلبه قفلا حجزه من تدبر القرآن، من أقفال الأهواء والشهوات والشبهات إلىٰ آخره، فقال أيضا جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء]، وقال جل وعلا أيضا: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ يعني القرآن ﴿ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[المؤمنون]، والآيات في ذلك كثيرة متنوعة، جعل الله القرآن بلسان عربي مبين لكي يتدبر ويتأمل ويعلم ما فيه من حِكم الله جل وعلا وحُكمه وأمره ونهيه وخيره الصادق والقرآن تام ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾[الأنعام:١١٥].

لهذا بعد هذا الحض وهذا الأمر وبيان الغاية من إنزال القرآن وهو التدبر والعمل بهذا القرآن، بعد بيان ذلك فلابد للمرء أن يتعلم التفسير وأن يقرأ كثيرا في تفسير القرآن، من غير الحسن لطالب العلم بخاصة ولعامة الناس بعامة من غير الحسن أن يسمع آيات كثيرة من القرآن وهو لا يعلم معناها، تُكرر عليه في الصلاة وإذا سئل عن تفسيرها لا يعلم معناها، قُرئت عليك سنين ولا تجد في نفسك رغبة في معرفة تفسيرها، كلام هكذا بدون أن نعلم تفسيره، هذا لاشك أنه نقص.

لهذا ينبغي علىٰ العبد المؤمن أن يحرص كثيرا علىٰ تفسير كتاب الله جل وعلا، فهو النور الذي جعله الله جل وعلا لعباده ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة].

فالقرآن نور ورسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ المبلِّغ لهذا القرآن والمبيِّن لتفسيره نور، فمن أخذ بذلك فقد أوتي أنوارا في قلبه لا يلتبس بعدها عنده الطريق.

القرآن فسّره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ؛ لكن كان ما نُقل من تفسير القرآن عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ قليل وليس بالكثير.

ففسر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ آيات من كتاب اله جل وعلا كقوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام]، فسرها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ بأن الظلم الشرك كما جاء ذلك في الصحيح من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنها لما نزلت الآية شقّ ذلك علىٰ الصحابة وقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ فقال: «ليس الظلم الذي تذهبون إليه، الظلم الشرك،

ألم تسمعوا إلىٰ قول العبد الصالح: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[لقمان]».

وفسر النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أيضا الخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالىٰ في سورة البقرة ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾[البقرة:١٨٧] فسّرها بأن الخيط الأسود هو طلوع الصبح وذهاب الليل.

فهذه جمل من تفاسيره عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فيما صح عنه.

كذلك فسّر القوة في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[الأنفال:٦٠]، بأن القوة الرمي قال في تفسيرها: «**ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي**».

إذا تبين ذلك فإنّ المنقول عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في التفسير ليس بالقليل؛ ولكنه أقل مما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وذلك لأن تفسيره كان بحسب الحاجة، فإذا احتاج الصحابة إلىٰ التفسير فسر لهم ذلك.

كما فسر لهم قوله جل وعلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾[يونس:٢٦]، بأن الزيادة هي النظر إلىٰ وجه الله الكريم.

وفسر الكوثر في قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾[الكوثر]، قال: «**هو نهر أعطانيه الله جل وعلا في الجنة**» وجاء في تفسيرها أنه قال: «**الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطانيه الله جل وعلا**».

وهكذا في آيات كثيرة فسّرها النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بحسب الحاجة.

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يهابون أن يسألوا رسول الله ﷺ عن تفسير عدد من الآيات، ويفرحون بأن يأتي أحد فيسأل النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حتىٰ يتعلموا منه.

مضىٰ زمن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، ثم لما كثر الناس وضَعُف العلم بأحوال النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ والعلم بسنته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ والعلم بلغة العرب احتاج الصحابة أن يبينوا للناس القرآن، فكثرت تفاسير الصحابة بالنسبة لتفاسير النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ للقرآن؛ لأن داعي الحاجة كان أكثر.

في زمن التنزيل الصحابة يرون أسباب النزول، ويعلمون أنّ هذه الآية هي أنزلت في كذا الآيات هذه أنزلت في القصة الفلانية في غزوة بدر، أنزلت في القصة، لما حدث كذا وكذا في غزوة أحد، وأنزلت كذا في بين قريضة، وهكذا في عدد كثير من الآيات، فعلموا أسباب النزول فعلموا التفسير.

ولهذا كان ما فُسِّر لهم من القرآن قليل بالنسبة إلىٰ كثرة الصحابة؛ لأنّ علمهم بالقرآن كثير لما يعلمون من لغة العرب، وبما شاهدوا من أسباب النزول، وبما يعلمون من سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وأيضا كانوا أهل قرآن ويفسرون بعض القرآن ببعض، ومع ذلك فربما لم يعلم بعض الصحابة -مع جلالة قدرهم- تفسير بعض الآيات فيعلمه الآخرون؛ لأن القرآن كثير الأوجه كثير المعاني.

من ذلك أنّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تلا سورة النحل علىٰ المنبر في يوم الجمعة وبلغ قوله تعالىٰ: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧﴾[النحل]، قال: ما التخوف؟

فقام رجل من المسلمين فقال: يا أمير المؤمنين التخوف في لغتنا التنقّص، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تَامِكًا قَرِدًا كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

يعني التخوف التنقص، ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ فسرها هذا الرجل باللغة بأن معنىٰ التخوف التنقص، يعني يبدأ ينقصهم شيئا فشيئا وهم لا يتوبون لا يذكّرون، يرون أنهم في ذواتهم في الأفراد، يتناقصون في أموالهم، يتناقصون في صحتهم، يتناقصون معايشهم، ومع ذلك لا يتوبون ولا هم يذّكرون.

هٰذا في تفسير التخوف أحد وجهي التفسير في الآية آية النحل.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت لا أعلم تفسير ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] حتىٰ أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها. يعني ابتدأتها من غير أن يكون قبل ذلك مكان للبئر، قال: فعلم أن معنىٰ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني الذي ابتدأهما من غير مثال سابق وخلقهما من غير أن يكون قبل ذلك مثال.

وهكذا فالصحابة رضوان الله عليهم استفادوا التفسير وأفادوا.

وكان كلام الصحابة في التفسير المنقول كثير جدا، فنُقل عن أبي بكر تفسير آيات كثيرة، كما نقل عنه تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾[المائدة:١٠٥].

عمر رضي الله عنه نُقلت عنه تفاسير.

عثمان رضي الله عنه نُقلت عنه أيضا تفاسير.

علي رضي الله عنه هو أكثر الخلفاء الذين نُقل عنهم التفسير.

وممن نقل عنهم التفسير من الصحابة وكانوا أوعية لتفسير القرآن ابن مسعود رضي الله عنه فكان يقول رضي الله عنه: لو أعلم أنّ أحدا في الأرض عنده علم في القرآن ليس عندي تبلغه المطي لذهبت إليه. أو قال لرحلت إليه، وذلك لأنه صحب النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ زمنا طويلا وشاهد التنزيل.

أيضا ابن عباس رضي الله عنه فسر كثيرا جدا من القرآن.

عائشة فسرت القرآن.

أبيّ بن كعب فسر القرآن.

وهكذا في عدد من الصحابة، لذلك فكلام الصحابة في التفسير هو الدرجة الثانية في التفسير المنقول بالأثر.

الدرجة الأولىٰ: التفسير بالسنة الذي فسره النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بنفسه، هذا أغلىٰ وأعلىٰ تفسير، إذا كان النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هو الذي فسر، فلا شك أن قوله في ذلك هو الذي يجب الأخذ به والذي يجب اعتقاده والذي يجب قبوله؛ لأنه لا أحد أعلم بمعنىٰ كلام الله جل وعلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) سورة: الأنعام؛ الآية (١٤)، يوسف؛ الآية (١٠١)، إبراهيم؛ الآية (١٠)، فاطر؛ الآية (١)، الزمر؛ الآية (٤٦)، الشورىٰ؛ الاية (١١).

فتفسير الصَّحابة كثير، فمن أصول التفسير أن معناه التفسير علىٰ السنة يعني في الآثار تأتي منزلة القرآن في التفسير، ثم بعد ذلك ننظر في تفاسير الصحابة رضوان الله عليهم.

التفسير في مراتبه:

النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فسر القرآن بالقرآن كما ذكرت لكم في سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام:٨٢]، قال: «**الظلم الشرك، ألم تسمعوا إلىٰ قول العبد الصالح** ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾[لقمان]» هذا أصل في تفسير في القرآن بالقرآن، فما كان مجملا في آية يجده أهل العلم بالتفسير مبينا في آية أخرىٰ، ما كان عاما في آية نجده خاصا في آية أخرىٰ، وما كان مطلقا نجده مقيدا، وهكذا، فبعض ما يفسر به القُرآن القرآن؛ لأن الله جل وعلا جعل القرآن متشابها فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٢٣]، فالقرآن متشابه؛ يعني بعضه يشبه بعضا، بعضه يشبه بعضا، في بعض الآيات تجد أنه ليس ثم تفسير للكلمة، تجد في الآية الأخرىٰ تفسير مثل افتراض الإيمان في الرقبة في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النساء:٩٢]، في دية قتل الخطأ، وفي أنواع من الكفارة قال ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[المجادلة:٣]، نعلم أن هنا الرقبة التي ذكرت في موضع تفسيرها أنها الرقبةُ المؤمنة التي ذكرت في آية النساء، فإذن القرآن يفسر بعضه بعضا.

فأعلىٰ ما يفسر به القرآن القرآن.

ثم يفسر القرآن بسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

ثم بما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

ثم بما قاله جمهور الصحابة رضوان الله عليهم.

الصحابة تميزت تفاسيرهم بالأشياء تفاسير الصحابة:

أولا أنها تفاسير من علموا القرآن وعلموا السنة؛ لأنهم شهدوا التنزيل ويعلمون سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وهدي النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

تميزت تفاسير الصحابة وهي الميزة **الثانية** أن تفاسير الصحابة من شاهد التنزيل وعلم أسباب النزول، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلام له: العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، فإذا علمت سبب الشيء عرفت المعنىٰ، عرفت توجيه الكلام، عرفت المراد منه، فعلمهم بأسباب النزول ومشاهدتهم لأسباب النزول يجعل تفاسيرهم في الغاية؛ لأنهم شاهدوا وعلموا فلم يفسروا القرآن بشيء يصادم أسباب النزول، ويصادم سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

تميزت تفاسير الصحابة بأنها تفاسير مأمونة من جهة الاجتهاد في اللغة؛ لأنهم أهل اللسان ولا خطأ عندهم في اللغة، فإذا اجتهدوا في تفسير القرآن باللغة، فإذا اجتهدوا في تفسير القرآن باللغة فهو اجتهاد العالم البصير بلغة العرب؛ لأنه في زمن الصحابة رضوان الله عليهم لم يفشُ اللحن في لغة العرب كان زمنهم زمن احتجاج في اللغة، ولم يأت بعد اللحن ولم يداخل العرب المولدين من الناس ممن أفسدوا بعد ذلك لسان العرب.

فالصحابة اجتهادهم في اللغة حجة ومقبول؛ لأنهم ليس عندهم لحن وليس عندهم غلط في اللغة.

أيضا من مزايا تفاسير الصحابة: أن الصحابي إذا فسر في الأمور الغيبية أو فسر في الأمور العملية فإنه مأمون التفسير من جهة العقيدة؛ لأنهم هم قدوتنا، هم السلف الصالح الذين رضي الله عنهم وأمرنا بالترضّي عنهم ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨]، و رضي الله عنهم ورضوا عنه سبحانه وتعالى، ولهذا تفاسيرهم في الاعتقاد، في التوحيد، في الأمور الغيبية، في ذكر الجنة، النار، في الصفات، في توحيد الله جل وعلا، هو أعلىٰ التفسير وأصح التفسير؛ لأنه لم تحدث بعد البدع ولا الخرافات ولا الفرق ولا المحدثات، ولهذا تفاسيرهم من هذه الجهة مأمونة تلقاها المسلم بطيب نفس واتّباع وأخذ، دون تردد فيما فسره الصحابة وصحّ عنهم رضوان الله عنهم.

تفاسير الصحابة أيضا تميزت بأنها وجيزة الألفاظ –**الميزة الخامسة**– كثيرة المعاني، وجيزة الألفاظ قليلة الألفاظ؛ لكن إذا تأملت وجدت أن فيها معاني كثيرة يخرج منها العالم بعلم بخرج المربي بأنواع من التربية والإرشاد، يخرج منها المتأمّل بأنواع من الفوائد.

لهذا قال ابن رجب في ذكر فضل كلام السلف علىٰ كلام الخلف قال: كلام السلف قليل كثير الفائدة، وكلام الخلف كثير قليل الفائدة. فهذا هو الحال، تجد الصحابي أو التابعي كلمتين ثلاث لكنها تحرك النفوس، تشعر في القلب الإيمان محبة الله جل وعلا محبة رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ محبة الدين تشعر في القلب معرفة معاني الكتاب والسنة، وأما كلام المتأخرون والخلف من أمثالنا نسأل الله جل وعلا أن يسلك بنا وبكم سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار كلامهم كثير لكن التحصيل الحاصل منه قليل، كلام كثير لكنه قليل الفائدة.

هذه مزايا خمس لتفاسير الصحابة، تجعل بعد ذلك منا أن نقول: تفاسير الصحابة لابد من العناية بها.

إذن من أصول التفسير أن يفسر القرآن بتفاسير الصحابة رضوان الله عليهم.

إذا تبين ذلك فنقول: الصحابة في تفاسيرهم علىٰ أنحاء:

الناحية الأولىٰ: أن يجمعوا علىٰ تفسير، فإذا أجمعوا علىٰ تفسير لم يحلَّ لأحد من بعدهم أن يخالفهم في التفسير، لم؟ لأنه لا يمكن أن يُحجب الصواب في التفسير عن الصحابة ثم يُدركه من بعده؛ لأن العلم بالقرآن لابد أن يكون موجودا في كل طبقة من طبقات الأمة.

فإذا كان الصحابة أجمعوا علىٰ أنّ تفسير الآية كذا، ثم حدث خلاف بعد ذلك في زمن التابعين، أو بعد ذلك فنعلم أنه خلاف بعد انعقاد الإجماع، ومعنىٰ هذا الخلاف أنّ هذا القول إذا قلنا بصوابه فإنه يعني أن الصحابة لم يعرفوا هذا القول، ومعنىٰ ذلك أن جملة الصحابة لم يدركوا التفسير الصحيح لهذه الآية، وهذا لاشك أنه ظن سوء في خيرة خلق الله بعد رسله وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذه الدرجة الأولىٰ أو الناحية الأولىٰ.

الثانية أن يختلف الصحابة في التفسير، فإذا اختلفوا في التفسير فيكون القول لمن؟ هنا ننظر إلىٰ تفاسير الصحابة، فإذا وجدنا أن التفاسير متفقة في الدِّلالة لكن مختلفة في اللفظ فنحمل بعضها علىٰ بعض.

مثلا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾[الفاتحة]، فسرها بعضهم الصراط المستقيم

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

هو القرآن، وفسرها بعضهم بالسنة، الصراط المستقيم محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، الصراط المستقيم الإسلام، هذه كلها وإن اختلفت مجالها واحد؛ لأن من استمسك بالإسلام فقد استمسك بالقرآن، ومن استمسك بالقرآن فقد استمسك بالسنة، وهكذا.

فإذن تارة يختلف الصحابة في التفسير؛ لكن الناظر فيه يحمل بعض التفاسير علىٰ بعض، وهذه علىٰ القاعدة المعروفة عند أهل العلم في التفسير أنه يُحمل كثير من اختلاف الصحابة بل الأكثر علىٰ اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد؛ يعني أنها تنوعت عباراتهم ومرادهم شيء واحد، بعضها يؤول إلىٰ بعض لا خلاف بينهم في ذلك.

تارة يختلفون ويكون الاختلاف وهو قليل اختلاف تضاد؛ يعني هذا في جهة وليس في جهة، لا يمكن أن نقول: هذا يحمل علىٰ هذا، فإذا وجد هذا الاختلاف اختلاف التضاد فينظر فيه علىٰ النحو التالي:

أولا ينظر هل صح هذا التفسير عن الصحابي أم لا؟ فنبحث في صحة التفسير عن الصحابي، فقد لا يكون صحيحا فعند ذلك يرىٰ الاختلاف فلا يكون ثم خلافا في التفسير أو معارضة بين قول وقول، ونحن نرىٰ مثلا في «تفسير ابن جرير الطبري» أو في «تفسير ابن أبي حاتم» وفي «تفسير عبد الرزاق» تفاسير منقولة بالأسانيد فننظر في تفاسير الصحابي هل هو صحيح لدراسة التفسير، لدراسة الإسناد علىٰ طريقة أهل التفسير، هل هو صحيح أم ليس بصحيح؟ إذا لم يكن صحيحا الحمد لله استراح الباحث وقال بعض القول في تفسير الآية لا خلاف فيه؛ يعني أن المخالف لم يثبت عنه ذلك التفسير.

الحال الثانية: أن تكون التفاسير صحيحة هذا صحيح وهذا صحيح، وهنا أي شيء نرجح؟

فننظر إلىٰ الترجيح بالكثرة، فما فسره الأكثرون من الصحابة فهو أولىٰ من تفسير الأقل، هذا وجه.

الوجه الثاني من أوجه الترجيح، وأوجه الترجيح كثيرة جدا جدا، وثم كتب وبحوث معصرة جيدة في هذا الموضوع ربما يأتي ذكرها إن شاء الله تعالىٰ.

إذا وجدنا أن الحالة الأولىٰ -الترجيح بالعدد- ووجدنا أن الترجيح بالعدد غير ممكن، أو أن المفسر صاحب جلالة وقدر مثل ابن مسعود، فسرها علي ﷺ ، فسرها ابن عباس، فماذا نقول في ذلك؟ ننظر إذا كان يمكن أن يصحح كل من القولين فيصحح، فنقول ثم خلاف في الآية، فبعضها أهل العلم فسرها كذا يعني بعض الصحابة وبعضهم فسرها كذا.

فإذا أتىٰ المجتهد في التفسير ورجح فيرجح بأمور كثيرة، تارة بالقراءات، تارة يرجح بدلالة اللغة، تارة يرجح بالسياق، تارة يرجح بالأصول أصول الفقه، مثلا المصطلح علىٰ المعنيين جميعا، إذا كان اللفظ مشتركا أو ببقاء العام علىٰ عمومه؛ يعني في أنحاء يطول الكلام علىٰ تفصيلها في أوجه الترجيح عند خلاف المفسرين.

الصحابة رضوان الله عليهم هنا ننتقل إلىٰ **المرحلة الثانية** كونوا مدارس في التفسير، نُقلت هذه المدارس إلىٰ التابعين؛ يعني كل صحابي عنده طلاب نقله من التفسير علمهم التفسير، فتكون مدرسة ابن مسعود تمثل تفسير ابن مسعود.

مدرسة ابن عباس في مكة تمثل تفسر ابن عباس.

مدرس أبي وعلي في المدينة تمثل تفسير علي وأبيّ.

وهكذا نشأت في الأمور الاجتهادية في التفسير مدارس مختلفة لها مزايا.

فمثلا تجد أن الكوفيين من أصحاب ابن مسعود من التابعين ومن تبعهم تجد أنهم يرجحون بأسباب النزول، أو بتفسير القرآن بالقرآن؛ لأن ابن مسعود كان يعتني كثيرا بأسباب النزول، وكان يُقسم ويقول: والله ما من آية إلا وأنا أعلم متىٰ أنزلت وأين أنزلت وفيما أنزلت. هذا له وجه، فتنظر الآن في مدرسة أصحابها يرجحون أو ينظرون إلىٰ أسباب النزول؛ لأن صاحب التفسير الذي علمهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ ذلك.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يفسر كثيرا بالاجتهاد باللغة، ونُقل عنه التفسير بأشعار العرب الشيء الكثير؛ لأنه كان يقول: القرآن نزل بلسان عربي مبين، والسنة التي نقل فيها التفسير أو التي فسر فيها القرآن قليلة، ولذلك لابد من الاجتهاد، فكان يجتهد، بأي شيء يجتهد؟ يجتهد بالنظر في اللغة، لهذا نجد مجموعة ابن عباس أو أصحاب ابن عباس مدرسة ابن عباس في التفسير يهتمون بالنظر اللغوي، ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عالما باللغة حق العلم، كان عالما بأشعار العرب.

ولما فسر القرآن في صحن الكعبة يعني في صحن الحرم أتاه رجلان فقال أحدهما للآخر: قم بنا إلىٰ هذا الذي يجترئ علىٰ تفسير القرآن -يعني ابن عباس- نسأله عن مصادقه من لغة العرب. كيف يفسر بهذه التفاسير، نسأله عن مصادقه من لغة العرب.

فقاما ثم أتيا ابن عباس فقالا: إنا سائلوك عن بعض الآية علىٰ أن تخبرنا بمصادق ما تقول من كلام العرب؛ لأن القرآن أنزل بلسان عربي مبين.

فقال ابن عباس: سلا عما بدا لكما، فلما بدأ الكلام قالا: أخبرنا عن قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾[المائدة] الآية في سورة المائدة، ما الوسيلة؟ فقال ابن عباس: الوسيلة الحاجة. يعني إذا كان لك حاجة لك طلب ابتغوها عند الله جل وعلا: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وهي حاجات وطلبات المرء عند الله جل جلاله لا عند غيره فقالا له: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ألم تسمعا إلىٰ قول عنترة:

إنّ الرجال لهم إليكِ وسيلة أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

لهم حاجة في الزواج استعدي تكحلي وتخضبي إلىٰ آخره من التزين.

قالا: فما معنىٰ قول الله جلّ وعلا: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾[المعارج]، ما العزون؟ فقال ابن عباس: العزون الجماعات في تفرقة. جماعة حِلق هنا وجماعة هنا وجماعة هنا. ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾ يعني متجمعين، هنا مجموعة هنا مجموعة قال ابن عباس: العزون الجماعات في تفرقة.

فقالا له: يا ابن عباس وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ألم تسمعا إلىٰ قول الشاعر:

فجاءوا يُهرعون إليه حتىٰ يكونوا حول منبره عزينا

وهكذا في أسئلة تبلغ أربعين سؤالا يحفظها طلبة العلم.

إذا تبين ذلك فابن عباس لهٰذه مدرسته في التفسير.

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

في المدينة نظرته في التفسير بما ينقل عن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وتفسير القرآن بالقرآن والاقتضاب في ذلك قدر الإمكان.

هذه النقولات بعد ونقلت حتىٰ تدونت في كتب التفسير، لما تدون ذلك في كتب التفسير صار عندنا نوعان من كتب التفسير:

النوع الأول من اعتمدوا في تفاسيرهم علىٰ الأثر، ينقلون بالإسناد حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، حدثنا الزهري ثم يكمل إلىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أو إلىٰ الصحابي رضوان الله عليهم، هذا تفسير بالأثر؛ يعني اقتصوا في تفاسيرهم علىٰ إيراد الأسانيد دون ذكر أشياء.

فهذا بها يعلم طالب العلم ما نقل عن السلف من الصحابة والتابعين وتبع التابعين في التفسير، وهذه يمثلها «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» و«تفسير الإمام أحمد» و«تفسير ابن أبي حاتم» و«تفسير ابن مَرْدُويه» و«تفسير ابن المنذر» و«تفسير ابن جرير الطبري» و«تفسير ابن كثير» وكثير من التفاسير علىٰ هذا الغرار.

من أثر مدرسة ابن عباس وهو الاجتهاد بالاستنباط والاجتهاد باللغة، نشأت مدرسة نشأت أيضا مدرسة في تفسير القرآن بالاجتهاد؛ يعني ينظرون فيه بالأوجه النحوية، ينظرون إليه في أوجه العربية، ينظرون ما دلت عليه العرب ويفسرون بذلك، هذا الاجتهاد والاستنباط لابد أن يكون اجتهادا واستنباطا صحيحا وهذا النوع الثاني من مدراس التفسير، وهي مدرسة التفسير بالاجتهاد والرأي؛ يعني بالاجتهاد والاستنباط، وهي كثيرة ابتدأت من القرن الأول ثم الثاني وثم كتب كثير للتفسير.

إذن الأصل الثالث من أصول التفسير أو **المقدمة الثالثة** أنْ يعلم طالب العلم أنواع التفاسير، لابد تعرف أنواع التفاسير، يعني تقرأ في هذا التفسير إذن هذا التفسير هل هو صحيح أم ليس بصحيح؟ مأمون أو ليس بمأمون؟ نقرأ أو لا نقرأ؟ هذا مبني علىٰ أن التفسير لا بد أن يحدد نوعه، ولهذا التفاسير كما ذكرت في الدنيا بلا عدد، تفاسير كثير ولكنها علىٰ قسمين:

القسم الأول: تفاسير بالأثر.

والقسم الثاني: التفاسير التي ورد فيها الاجتهاد والاستنباط.

طالب العلم أول ما يقرأ في تفسير الآية لابد له أن يهتم بالتفاسير بالأثر، فيعلم تفسير الآية بالقرآن، تفسير الآية بالسنة، تفسير الآية بكلام الصحابة رضوان الله عليهم تفاسير الصحابة؛ لأن هذا كما قلنا هو التفسير المأمون، إذا استنفذ ذلك ومضىٰ عله ورأىٰ ما في كتب التفسير بالأثر، فهنا له أن ينتقل إلىٰ كتب التفسير بالاجتهاد والاستنباط، كتب التفسير بالاجتهاد والاستنباط كثيرة جدا -كما ذكرنا- تتنوع في أربع مدراس ذكرناها لكم في محاضرة مضت، تفاسير في الاجتهاد اللغوي الاجتهاد الموسوعي وتفاسير ...

مدرسة التفسير بالرأي تنوعت إلىٰ أربع مدراس هذه الكتب موجودة:

أولا مدرسة تفسير بالرأي العقدية، تجد أن المفسر يفسر ويروم تقرير عقيدته، من خلال التفسير بالرأي، عقيدة المعتزلي مثل الزمخشري في «الكشّاف» وجماعات من الأشاعرة في تفاسيرهم مثل النسفي وأبي السعود والرازي فسّروا ليقرروا عقائدهم في التفسير، فتجد أنه ما من آية يمكن أن يستدل بها

في مسائل العقيدة أو فيها إشارة إلا ويقرر عقيدته، المعتزلي يقرر عقيدته، والرافضي يقرر عقيدته، والأشعري يقرر عقيدته، والإباضي يقرر عقيدته، من خلال التفسير، وهذه المدرسة كبيرة وحمىٰ الله جل وعلا هذه البلاد من كثير من كتب هذه المدرسة في التفسير، وهي مطبوعة موجودة.

النوع الثاني من المدارس مدرسة التفسير الفقهي، يعني بالرأي لكن يروم أن يفسر تفسيرا فقهيا لماذا؟ لأن المفسر همه الفقه، تجد أنه يفسر تفسيرا فقهيا، هذا همه، فقيه هو، فأراد أن يقرر الفقه، طبعا المفسر الذي له العناية بالفقه إذا أتت مسائل الأخرىٰ التفسير بالأثر، التفسير بالاجتهاد من جهة اللغة، ليس هو في منزلة المفسرين الأولين، فإذا عرفت أن هذا التفسير تفسير فقهي، فلاشك لا تعتمد عليه مائة في مائة مثل ما هو يمكن في التفسير اللغوي، أو الترجيح بين التفاسير عن السلف ونحو ذلك لأنهم التفاسير الفقهية مثل «إحكام القرآن لإلكيا» و«أحكام القرآن للقرطبي» وكثير من التفاسير.

المدرسة الثالثة من مدراس التفسير التفاسير اللغوية، وهذه قد تكون بلاغية وقد تكون نحوية مثل «البحر المحيط»، وقد تكون بلاغية مثل «الكشاف» و«أبي السعود» وغيره، وقد تكون من جهة الاشتقاق يعني يبين لك أصول الكلمة وارتباطاتها أو المفردات مثل «مفردات الراغب» وأشباه ذلك، مثل تفسير «ألفاظ الكتاب» للسمين الحلبي والزمخشري.

يعني أرادوا البحث اللغوي، تجد أن عند الآية يمكن يفصل لك صفحتين ثلاث في خلاف النحوي، هذا ما يحتاجه طالب العلم، يقول: أنا أقرأ في «البحر المحيط»، البحر المحيط ما يصل معه المبتدئ الذي يريد التفسير إلىٰ تفسير الآية، هذا للمتخصص وعنده علوم كثيرة حتىٰ يعلم مراد أبي الحيان الأندلسي في تفسير الآية، وكذلك التفاسير البلاغية والإعرابية ونحو ذلك.

النوع الأخير المدرسة التفسير بالرأي وهي مدرسة التفسير بالموسوعية التي فيها كل شيء: يأتي بالعقيدة ويأتي بالنحوية ويأتي باللغة ويأتي بالفقه ويأتي بالأثر فيها كل شيء وهذا ممثل تفسير الألوسي «روح المعاني»، وغيره من كتب التفسير.

المقصود من ذلك أن طالب العلم حتىٰ يطلب علم التفسير لابد يحدد المدرسة، مدرسة هذا المرجع، إذا حدد المدرسة استطاع أن يتعامل مع الكتاب علىٰ وجه الصواب، إذا لم يحدد المدرسة يقول أنا قرأت في التفسير الفلاني كذا، طيب هل يجعل هذا كل ما في كتب التفسير صحيح؟ لا، لابد أن يرتب درجات النظر في معرفة تفسير كلام الله العزيز جل جلاله.

إذا تبين هذا فمن أصول التفسير أيضا أن التفاسير -كما ذكرنا- كثيرة ومتعددة، وقد يكون في كثير منها خلل في العقيدة، أو خلل في أبواب التوحيد، أو خلل في أغلاط من حيث المنهج في تقديم أو تأخير تفسير الصحابة، ونحو ذلك أو عدم العناية بهذا.

فهذه تفيدك في معرفة أن المفسر كلّما كان أقعد بمعرفة العقيدة وأصول السلف كلما كان تفسيره أسلم وكلما كان ترجيحه أقوىٰ، لذلك تجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالىٰ في مدرستها في التفسير عندهما العلم الوافي الراسخ في التوحيد والاعتقاد وفي اللغة وفي معرفة أصول السلف وتفاسير السلف، فإن اجتهدا أو قررا فإنه تقرير مأمون علىٰ التفسير.

لذلك تجد أن العلماء المحققين أخذوا بتفاسيرهما وبترجيحهما في تفسير آيات كثيرة، تبعهما على ذلك الحافظ عماد الدين ابن كثير.

لهذا تجد أن علماء الدعوة رحمهم الله تعالىٰ والعلماء المعاصرون من أنصار التوحيد والملة تجد أنهم يوصون بتفسير ابن كثير؛ لأن تفسير ابن كثير جمع «تفسير ابن جرير» فنظر فيه ناقشه في مواضع كثيرة وغلّط ابن جرير في مواضع كثيرة، وأيضا نظر في التفسير علىٰ الأصول تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة إلىٰ آخره كما بيننا في مقدمته، وفي الترجيح نظر إلىٰ أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان ذلك أمام عينيه وترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية ظاهرة في تفسير ابن كثير.

مثلا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾[الكهف]، يعني علىٰ قبرهم نتخذ مسجدا، من هم الذين غلبوا علىٰ أمرهم؟ في التفسير قال: المسلمين يعني الذين كانوا مسلمين في وقت أصحاب الكهف. وقال آخرون: لا، ليسوا بالمسلمين إنما هم المشركون؛ لأن اتخاذ المساجد علىٰ القبور والبناء عليها، هذا مما نهت عنه الرسل، فلا يمكن لأن يكون أولئك من المسلمين.

فجاء ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: والصحيح أن الذين غلبوا علىٰ أمرهم هو الكبراء وأهل النفوذ. يعني الولاة الحكام رأوهم صالحين هم الذين غلبوا...

...في التفسير يتبع صحة العقيدة ويتبع صحة التفسير اللغوي، فتلحظ أنه متفق مع أصول الدين مع أصول الإسلام وأصول التوحيد، ومتفق مع التحليل اللغوي، وهذا من مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله تعالىٰ.

شيخ الإسلام تكلم في مجلد أو مجلدين -طبعت مؤخرا- في تفسير آيات أشكلت حتىٰ لا تكاد تجد في كتاب من كتب التفسير القول الصواب فيها، تكلم عليها شيخ الإسلام في مجلدين، في تفسير أشكلت -هذا عنوان الكتاب- «تفسير آيات أشكلت حتىٰ لا تكاد تجد في تفسيرٍ القول الصواب فيها». وهذا لاشك نظرة فيها العلم والمعرفة.

من **المقدمات المهمة في علم التفسير** أن يرتّب طالب العلم نظره في التفسير بترتيب منهجي، وهذا سبق أن ذكرناه مفصلا في أظن كلمة أو محاضرة بعنوان المنهجية في قراءة كتب التفسير (**الكيفية في دراسة التفسير**) هذه مهمة لطالب العلم أن يسمع ذلك، فيه ترتيب مطول تبدأ بأيش حتىٰ تفهم التفسير، بأي الكتب، وكيف تحفظ لترقىٰ في ذلك، فيرجع إليها.

فإذن من المقدمات المهمة في دراسة التفسير أن يرتب طالب العلم -ليس الذي يريد تفسير الآية- الذي يريد أن يكون عنده معرفة بتفسير كلام الله جل وعلا أن يرتبه علىٰ منهجية وعلىٰ خطوات محددة لابد أن تكون واحدة تلوىٰ الأخرىٰ.

بعد هذه المقدمات نأتي إلىٰ أصول عامة في التفسير.

أولا: الرأي في التفسير محرم، فقد جاء في الحديث «**من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**»، وجاء «**من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ ولو أصاب**».

قال أهل العلم: الحديث الأول محمول علىٰ من فسر القرآن بهوىٰ، له هوىٰ في أن يجعل الآية كذا،

فمن فسر القرآن برأيه وبدعته المذمومة ليجعل القرآن ناصرا لبدعته المذمومة فإنه متوعد بأن يتبوأ مقعده من النار؛ لأن ذلك قوله علىٰ الله بلا علم، فالله جل وعلا قرن القول عليه بلا علم بالشرك والعياذ بالله.

الحديث الثاني «**من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ وإن أصاب**» حتىٰ ولو أصاب قد أخطأ ويأثم؛ لأنه تجرّأ علىٰ تفسير القرآن دون ملكة، مثل يقول الآن البعض الخطيب مثلا أو محاضر، لا يعلم تفسير الآية وليس عنده ملكة في التفسير فيجتهد فيها من ساعته، وهو لا يعلم تفسير الآية ولا يعلم كلام أهل العلم فيها، وليس عنده معرفة أسرار بالعقيدة واللغة حتىٰ يمكن أن يكون اجتهاده علىٰ وجه صواب.

فلهذا هنا (**من فسر القرآن برأيه**) يعني الذي نشأ عن جهل بأدوات التفسير فإنه أخطأ ولو أصاب، حتىٰ ولو وافق قوله الصواب مثلا راجع كتب التفسير فوجد ذاك القول؛ لكن حين تكلمت هل تكلمت بعلم أو برأيك؟ تكلمت برأي لا بعلم فهذا هو الذي جاء فه الحديث القول (**أخطأ وإن أصاب**) لأنه فسره برأيه لم يفسره بحجة وإنما برأيه المجرد.

فإذن يجتنب طالب العلم -وهذه من المقدمات- أن يجتنب التفسير القرآن بالرأي الذي ليس ناتجا عن علم، لأنه من فسر القرآن مع كونه يأثم وأنه وإن أصاب فهو مخطئ، فكيف إذا أخطأ؛ لكنه يحرم بركة التفسير، ولا يعلم التفسير لأنه يتجرأ، وكلام الله جل وعلا لابد أن تأخذ القلوب هيبة من بيان معانيه إلا بعلم وحجة، هذا كلام من؟ كلام الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته.

فإذن من المقدمات المهمة أن يسعىٰ طالب العلم في معرفة التفسير علىٰ ما قاله أئمة التفسير، أن يعرف ما أجمع فيه من التفاسير والخلاف علىٰ ما ذكرنا من التفصيل المقتضب، ثم بعد ذلك يمكنه أن يتهيأ له، بعد دراسته وطلبه لعلم التفسير أن يتكلم في التفسير بعد معرفة كلام أهل العلم.

من المقدمات المتصلة بذلك أن التفسير ليس مجال إصلاح للنفوس بالجهل، هو مجال للإصلاح النفوس بالعلم، لأن القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]، فإذا فسّر القرآن عالم فإنه يهدي به النفوس والقلوب لأن القرآن كتاب هداية؛ لكن يأتي كل أحد خاصة من الشباب مثلا في جلسات الذين يقرؤون القرآن يقول: والله الذي يظهر أي من الآية، أو يجتهد في أمور عاطفية أو دعوية ويستخرجها من القرآن، هذا باب ضلال، ومن تجرأ علىٰ ذلك فقد تجرأ علىٰ أمر عظيم، أن يكون مرتكبا لإثم عظيم، فليس القرآن بالرأي وتجارب ونظر، هذا الذي يظهر لي من الآية كذا، والآخر يقول الذي يظهر كذا، وهذا يطبق معلومة نحوية عنده ضعيفة يطبقها في التفسير، يأخذ من الكلام الذي يدل علىٰ عدم الهيبة من كلام الله جل وعلا، هذا كلام من؟ كلام الله ﷻ، إذا كان الناس -ولله جل وعلا المثل في الأعلىٰ- إذا كان الناس لا يفسر بعضهم، لا يرضىٰ بعضهم أن يفسر الآخر كلامه علىٰ غير وجه الصواب؟ فكيف يجترئ أحدنا علىٰ تفسير كلام الله جل وعلا بخواطر كما يسميها خواطر دعوية أو خواطر إصلاحية أو نحو ذلك مما يكون، مما ليس له مرجع وتأصيل جيد في معرفة التفسير.

فإذن التفسير صعب وليس بسهل، ولهذا قال قائل من أهل العلم: العلوم ثلاثة منها ما لم ينضج ولم يحترق وهو التفسير. قال: العلوم ثلاثة علم نضج واحترق، وعلم نضج ولم يحترق، وعلم لم ينضج ولم

ينضج ولم يحترق وهو التفسير.

ليس معنىٰ ذلك أننا نجتهد كل واحد يتكلم بما يظهر له؟ لا؛ لكن كلام أهل العلم، فإذا أتىٰ العالم والعارف بالتفسير فإنه يتكلم كلاما حسنا علىٰ ما تعلم تفسير الآية.

لهذا نقول إصلاح الناس إنما هو بالقرآن، إصلاح الناس إنما هو التفسير، إصلاح الناس ببيان معاني الكتاب والسنة، فإذا نظر الناظر -طالب العلم- في المعاني ونظر في التفسير وكان عنده دُربة في ذلك، وراجع التفسير فإنه يمكن لطالب علم أنه يدعو الناس بعلم وبتفسير الآي تفسيرا صحيحا، وهذا اليوم أدعىٰ قبول كلامه وإلىٰ النظر إلىٰ كلامه.

كما ذكرت لك هذه كلمات موجزة تناسب هذا المقام المختصر، وإلا فإن أصول التفسير ومعرفة علوم التفسير هذا أمر عظيم وطويل، ويحتاج إلىٰ محاضرات ومحاضرات كثيرة ودروس متنوعة.

وأسأل الله جل وعلا هذا القليل فاتح خير لسامعه وللمتكلم به، وأن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، وأن يوفقنا إلىٰ أن نجعل القرآن حجة لنا لا حجة علينا، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، وأن يذكرنا ما نُسِّينا، إنه سبحانه جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة]

سؤال (١):أحيانا في بعض الكتب حينما يذكرون مراجع تفسير الصحابة والتابعين يذكرون تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم تفسير القرآن بالاجتهاد والاستنباط ويقصدون بذلك اللغة العربية فهل هٰذا التعبير الصحيح، لأن الإشكال هو أن الاجتهاد شامل لجميع مراجع التفسير السابقة، فالصحابي يجتهد في تفسير القرآن بالقرآن، ويجتهد في تفسير القرآن بالسنة أفيدونا؟

الجواب: الحمد لله.

هذه المسألة من حيث التنظير ربما تشكل؛ لكن من حيث التطبيق لا إشكال فيها، فالذي يعاني التفسير لا يجد فرقا بين أن يقبل تفاسير الصحابة وبين التفسير بالاجتهاد والاستنباط.

لأننا نقول: ما جاء التفسير فيه تفسير القرآن بالقرآن فإنه هو الحجة، ما جاء التفسير القرآن بالسنة فهو الحجة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم فهو الحجة، أحيانا يكون تفسير القرآن بالقرآن تفسيرا مجملا ببعض البيان، تارة يكون تفسير الصحابي أيضا يحتاج إلىٰ اجتهاد حتىٰ يتّضح.

فإذن التفسير بالاجتهاد والاستنباط مقبول؛ لكن لا يعارض به تفاسير المتقدمين، إذا كان يعارض تفاسير الصحابة فإنه لا يقبل؛ لأنه لا وجه له.

وكما قلنا: التفسير لا يمكن أن يحجب علىٰ الصحابة ويدركه من بعدهم، فإذا أتىٰ المجتهد واجتهد فإن اجتهاده يكون محمولا علىٰ أقوال الصحابة، يعني لا نجعل الاجتهاد صوابا حتىٰ يكون غير معارض للكتاب والسنة وتفاسير الصحابة، فإن كان معارضا يعني مخالفا فإنه لا يقبل ذلك.

طبعا الاجتهاد في التفسير له شروط، له شروط سبعة عند العلماء، صعبة ليس كل أحد يدرك ذلك.

سؤال (٢): هل الاستشهاد علىٰ حادثة دون علم بتفسير الآية يعتبر تفسيرا لها وهل يأثم من قال ذلك؟

الجواب: الاستشهاد بالآية في حادثة له حالان:

الحال الأولىٰ: أن يجعل الآية في معرض كلامه وهو يتكلَّم، فيجعل القرآن مستشهدًا به أو يضمِّنه كلامه، وهٰذا فيه مناسبة ظاهرة.

مثل: يأتي يعطي أحدا كتابا ويقول: ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[مريم:١٢].

مثلا: جاء واحد اسمه موسىٰ قال: ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾[طه].

ومجموعة دخلوا، قال: ﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾[يوسف:٦٧]، ونحو ذلك.

فهذا مما نهىٰ عنه العلماء؛ لأنه إنزال للقرآن في غير ما أُنزل له، إلا في حالة واحدة التي يسمونها تضمين القرآن أو الاستشهاد به في الكلام أو يسمىٰ الاقتباس أو نحو ذلك.

أما إذا كانت فيما أنزل فيه القرآن فإنه لا بأس به،

الحال الثانية: أن يستشهد بالقرآن فيما معناه ظاهر، يعني مثلا يوصي بالتقوىٰ فيستدل بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾[النساء:١]، يوصي بالإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦]، يوصي بالصلاة فيقول: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني بما معناه ظاهر لا يحتاج إلىٰ نظر فإنه له أن يستشهد

بذلك لظهور معناه، وعدم خفاه، ذكرنا حالتين.

سؤال (٣): ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يفسر كلام الله عز وجل إذا كان هو من أهل السنة والجماعة؟

الجواب: ذكر العلماء شروطا لذلك:

الأول: أن يكون عالما بالقرآن حافظا للقرآن؛ لأن القرآن يفسر بالقرآن، إذا غير حافظ لكتاب الله جل وعلا عن ظهر قلب فإنه قد يفوته تفسير الآية بآية أخرىٰ.

أن يكون يعلم -وهذا من جهة التفضيل لا الاشتراط- القراءات سواء السبع أو العشر أو أكثر من ذلك مما صح من القراءات؛ لأن التفسير يحتاج فيه المفسر إلىٰ تفسير القراءة بقراءة أخرىٰ مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[البقرة:٢٢٢]، قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، في القراءة الأخرىٰ قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾ صار معنىٰ ﴿يَطْهُرْنَ﴾ يتطهَّرن؛ يعني الطهارة الكاملة، الطهارة من الحيض وطهارةٌ بالاغتسال، فتُفسر القراءة بالقراءة.

بعض الناس لا يكون عنده علم أو يجترئ علىٰ القراءات فيأتي بقراءة شاذة أصلا لا تصح، مثل التي سمعناها من بعض خطباء الجمعة أو المحاضرين هذا جهل ببعض أحواله.

مثلا يأتي بقوله: وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا [1]يعني جعلنا مترفيها أمراء، المقصود أمّرنا كما في القراءة كما في القراءة الأخرىٰ، هذه ما فيه قراءة صحيحة، هي﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾[الإسراء:١٦]. يعني أمرنا مترفيها بالهدىٰ والتقىٰ فلم يطيعوا الرسل؛ بل فسقوا فيها فحق عليه القول فدمرناها تدميرا.

المفسر يشترط فيه أن يكون حافظا لكتاب الله جل وعلا ويُفضَّل فيه أن يكون عالما بالقراءات؛ لأن بعض القراءات تفسِّر بعضا.

الشرط الثاني أن يكون عالما بالسنة، ونعني بالسنة التي فيها تفسير القرآن الكريم، فيعلم معاني تفسير القرآن بما جاء في السنة يحصر ذلك، يعلمه، ويعلم سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ومعرفة الصحيح من غيره؛ لأن ذلك يؤهله لمعرفة ما صحَّ من التفسير بالسنة مما لم يصح.

الثالث أن يكون عنده علم بأصول الفقه يعني بأسباب النزول، بالناسخ والمنسوخ، بمعنىٰ المطلق والمقيد، بمعنىٰ العام والخاص، بمعنىٰ المجمل والمبين، بدِلالات الألفاظ، إذا كان عنده علم بأصول الفقه.

أصول الفقه أيش معناها؟ يعني وجه الدلالة من الآية علىٰ المعنىٰ، هذا من أصول الفقه، هي قوانين يستنبط بها العالم الحكم من الدليل، الاستنباط هذا يكون علىٰ قاعدة، لابد أن يكون عنده علم بهذه القواعد التي يحصّل بها الاستنباط.

مثل مثلا أن يقدم في الكلام الحقيقة الشرعية، ثم الحقيقة العرفية، ثم الحقيقة اللغوية، إذا أتىٰ... هذا

---

(١) ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾[الإسراء:١٦].

من أصول الفقه، نقدم الحقيقية الشرعية ثم بعدها الحقيقة العرفية ثم بعدها الحقيقة اللغوية، هذه تفيد المفسر في كثير من الآيات التي أشكلت أو صار فيها خلاف بين المفسرين.

المقصود علمه بأصول الفقه وأصول الاستنباط يحتاجه في الاجتهاد في التفسير.

الرابع أن يكون عالما بكلام السلف في التوحيد والعقيدة حتىٰ لا يفسر القرآن بتفاسير الخلف التي فيها بدع ومحدثات، إذا أتىٰ إلىٰ الأمور الغيبية يعلم أصول السلف في تفسر الغيبيات، إذا أتىٰ إلىٰ ذكر أمور التوحيد وصفات الله جل وعلا يفسرها بما فسره به السلف ما يجتهد فيخالف السلف في ذلك.

الشرط الخامس أن يكون عالما بلغة العرب؛ لأن اللغة هي ميدان؛ لأن القرآن أنزل بلسان عربي، واللغة هي ميدان الفهم، هي الوسيلة، الألفاظ وعاء والمعاني في هذا الوعاء كيف تفهم المعاني إلا إذا فهمت دلالات الألفاظ علىٰ المعاني، لذلك لابد أن يكون عالما باللغة فإنه باللغة يشمل أن يكون عالما باللغة نحوها وفي مفرداتها في تراكيبها، أما البلاغة فلا تشترط لأنها أمر خارج عن ما يفهم به إلا إذا قيل في علم المعاني من علوم البلاغة فإن لاشتراطه وجها.

علم اللغة أيش نعني به؟ لا نعني يعلم النحو في كل مسألة، أو يعلم هٰذه المفردة بنفسه، قد يكون يعلمها بنفسه أو بالقوة القريبة؛ يعني يستطيع يراجع، يراجع المفردة، عنده كتب اللغة، عنده المعاجم، عنده كتب النحو عنده ما يستعين به علىٰ ذلك، عنده ملكة ويستطيع أن يستعين بذلك بالقوة القريبة.

الشرط الأخير في ذلك أن يكون في تفسيره مراعيًا مواقع الإجماع والخلاف؛ لا يأتي هكذا لا يعرف الذي أجمع عليه من الذي اختلف فيه؛ لأنه قد يخالف الإجماع في مسائل.

سؤال (٤): أكثر من سؤال حول أحسن كتب التفسير الفقهية من حيث كثرة المسائل والتأصيل والبحث الفقهي ونحو ذلك؟

الجواب: التفاسير الفقهية كثيرة، ومن أوسعها كتاب القرطبي «أحكام القرآن المبين عن معاني آي الفرقان»، وهذا الكتاب من جهة الفقه فيه سعة، فيه فوائد كثيرة، فيه مسائل فقهية نادرة وبحثها بحثا جيدا.

ولكن الأصول للبحث فيه يحتاج إلىٰ معرفة بالكتاب كله.

والحمد لله في الفترة الأخيرة طلع تفسير فألحق من لم يقرأ الكتاب بمن قرأ الكتاب.

فيه بحوث جميلة في الكتاب؛ لكن كتاب القرطبي لكن فيه عيب وهو أنه نحا منحىٰ المتكلِّمين في العقيدة، ففي العقيدة يقرر منهج المتكلمين الأشاعرة، وهذا من العيوب الكبيرة في ذلك، فإذن المسائل الفقهية بحثه حسن.

من الكتب أيضا «أحكام القرآن لابن العربي المالكي» لكن في ضعف وعدم استيعاب، وفيه أيضا فوائد كثيرة.

ومنها أيضا «أحكام القرآن لإلكيا الهراس الشافعي» فيه أيضا بحوث جيدة مؤصلة.

ومن الكتب المعاصرة كتاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي «أضواء البيان»، فإنه من الكتب التي اعتنىٰ فيها بذكر الأحكام الفقهية؛ لكن ليس عند كل أية فيها حكم فقهي؛ لكن ما اشتمل عليه كتابه من

تفسير آيات فيها الحكم الفقهي ظاهر بيِّن، يعني آية في الصلاة، في الزكاة، في الرهان، في الربا، في الحج ونحو ذلك، أما إذا في إشارة والحكم الفقهي فيه خفاء فإنه لا يتعرَّض لذلك.

سؤال (٥): أكثر من سائل أيضا يسأل حول أنكم أشرتم في محاضرة سابقة إلىٰ أن من أحسن التفاسير كتاب «زبدة التفسير» وأيهما أفضل هو أو «تفسير السعدي» الذي وضع في طبعة في مجلد واحد؟

الجواب: «تفسير الشيخ عبد الرَّحمٰن السعدي» ننصح به، لأن فيه من الفوائد في تقرير التوحيد والعقيدة فوائد عظيمة جدا؛ لكن الشيخ عبد الرَّحمٰن السعدي قد لا يذكر الكلمة ومعناها، يأتي للتفسير الإجمالي مع ذكر الفوائد.

وتفسير الشيخ عبد الرَّحمٰن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستفيد منه العالم وطالب العلم أكثر، فيه كلمات قد ما يدركها طالب العلم المبتدئ.

كتاب «زبدة التفسير» اختصر فيه المؤلف وهو الأشقر «كتاب الشوكاني» في اختصار لطيف، وفي الجملة فيه ثم ملاحظات يسيرة عليه في بعض المواطن؛ لكن في الجملة ليس فيه خليل في الاعتقاد خاصة في أمور الصفات والغيبيات والإيمان ونحو ذلك، فهو من الكتب الحسنة جدا.

والمواضع المشكلة في تفسير الشوكاني تجتنبها، مثل مثلا كلام الشوكاني عن خَلق القرآن وعدم حسن كلامه فيه، وتوقفه في المسألة، هو اجتنب هذا، ولم يتعرض له. الخلاف في آيات الصفات تقريرها غير واضح، وهو يقرِّرها بوضوح، والله أعلم.

سؤال (٦): ما هي أفضل كتب التفسير بالرأي التي نهجت منهج أهل السنة والجماعة؟

الجواب: الكتاب هذا الذي ذكرت لكم، كتاب «زبدة التفسير»، «نفحة العبير» مختصرة، و«زبدة التفسير» أكبر، و«فتح القدير للشوكاني» و«كتاب الشنقيطي» أيضا طيب في هذا الباب.

سؤال (٧): إذا بدأ طالب العلم في دراسة أصول التفسير، ما هي أفضل المتون التي يحفظها ويبدأ بها وأفضل الشروح لهٰذه المتون؟

الجواب: لا أعلم كتاب جيد كمتن يفي بحاجة طالب العلم في أصول التفسير.

شيخ الإسلام كتب «مقدمة في أصول التفسير»؛ لكن ما شملت كل مباحث الأصول.

الشيخ عبد الرَّحمٰن بن قاسم له أيضا «مقدمة في أصول التفسير» وشرحها هو أيضا بحاشية، وبالمناسبة ننبه إلىٰ أن الناس يظنون أن حاشية الشيخ عبد الرَّحمٰن علىٰ أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، لا، أصول التفسير هو الذي وضعها وعمل لها حاشية لما وضعه هو، المتن له فيما يظهر والحاشية له.

ما أعلم كتابا فيه ذكر لأصول التفسير جيدة؛ لكن يستعين طالب العلم بكتب علوم القرآن مثل «البرهان» و«الإتقان» و«مناهل العرفان» وأشباه ذلك، ويتجنب مواضع الخلل في العقيدة.

سؤال (٨): أئمة الدعوة السلفية هل لهم عناية بالتفسير وما هي أبرز الكتب التي جاءت منهم؟

الجواب: أئمة الدعوة الإسلامية السلفية ابتداءً من الإمام المصلح المجدد شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وجزاه الله عنا وعن جميع الموحدين خير الجزاء أدخلوا إلىٰ نجد

الاهتمام بالتفسير.

نجد ما كانت تعرف التفسير ولا الاهتمام به، فالشيخ محمد الإمام المجدد رحمه الله كانت له العناية بالتفسير وله مشايخه بذلك، ولهذا ترىٰ أنه في تفاسيره في مجموع رسائل الشيخ ثم أربع مجلدات في ذكر تفاسير الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشيخ محمد في التفسير فسَّر بما يحتاجه في الدعوة، فسر سورة الفاتحة للإمام عبد العزيز بن محمد لما ناهز الاحتلام، قال: ولما ناهز عبد العزيز بن الإمام محمد بن سعود الاحتلام يعني وصل ١٥ سنة تقريبا فسر له سور الفاتحة. وهي التي طُبعت أخيرا بعنوان «تفسير سورة الفاتحة».

أيضا فسر آيات كثيرة وذكر قواعد كثيرة للتفسير في القرآن جُمعت في مجلدات فسر سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إلىٰ آخره.

أئمة الدعوة فسّروا القرآن لغرض بيان التوحيد والعقيدة الصحيحة، وبيان ما يضاده، فسروا القرآن بذلك، لم؟ لأن منهج أئمة الدعوة في التأليف أصلا هم لا يرون كثيرة التأليف، يرون أن الأمة ليست بحاجة لتفرغ العلماء للتأليف، وإنما هم بحاجة ليستفيدوا من كلام أئمة أهل العلم السابقين مما ألفوه في التفسير أو في أي علم من العلوم، وأن ينشروا في الناس الدعوة، لأن التأليف يأخذ وقت ويحتاج إلىٰ انقطاع، والناس في نجد وما حولها في ذلك الوقت بحاجة شديدة له للدعوة أشد من حاجتهم أن يقال: فلان من العلماء شرح البخاري أو ألف تفسير، لأن العمر محدود وهذه تتطلب انقطاع وأعمار طويلة فهم تفرغوا لما المصلحة فيه أعظم والثواب فيه أكثر والحاجة إليه أمسّ، ومعلوم أن المرء يجب أن يُؤثِر الواجب الشرعي علىٰ ما تهواه نفسه، ومع ذلك فقد أُثر عنه في التفسير أشياء كثيرة؛ لكن لم يتفرغ أحد منهم لتفسير القرآن من أوله إلىٰ آخره.

سؤال (٩): كيف تكون دراسة الإسناد علىٰ طريقة أهل التفسير، وهل هناك فريق بينها وبين طريقة المحدثين؟

الجواب: هذه ملاحظة جيدة من السائل أن يلاحظ هذا في كلامي، نعم هناك فرق وبسطه لأهل الاختصاص، ولعل السائل إذا كان عنده اهتمام خاص بالرجال وبطبقات الرواة، وبالاختصاص بالفرق بين كتب التفسير وكتب الحديث، عنده هذا الاهتمام أن يراجعني إن شاء الله ونجلس جلسة نبين له الفروق الكثيرة في ذلك.

سؤال (١٠): لقد وعدتم بإخراج كتاب في معاني ألفاظ الصلاة من التكبير إلىٰ التسليم، وطال انتظارنا لهٰذا الكتاب؟

الجواب: نسأل الله جل وعلا الإعانة والتيسير.

سؤال (١١): أكثر من سائل يسأل عن جهود الوزارة في إخراج تفسير جامع شامل للقرآن الكريم، وأيضا عن تكليف الأئمة بتفسير كتاب الله عز وجل سواء تفاسير ميسرة أو حتىٰ النقص الذي نلاحظه في الدروس العلمية والمدن والقرىٰ وغيرها في تخصيص دروس في تفسير القرآن الكريم.

الجواب: الوزارة لاشك أنها تأخذ علىٰ عاتقها واجب الدعوة إلىٰ الله جل وعلا، وواجب إصلاح

الناس.

وإصلاح الناس لا يكون إلا بالطريقة السلفية الصحيحة من التأثير علىٰ الناس بكتاب الله جل وعلا وبسنة رسوله ﷺ، وبيان معاني ذلك للناس.

ولهذا أرشدنا الأئمة وبلَّغناهم في خطابات كثيرة بأن يقرؤوا علىٰ الناس ما افتقدوه، أن يقرؤوا علىٰ الناس في «تفسير ابن كثير» أو يقرؤوا علىٰ الناس «كتاب التوحيد» وشروحه «قرة عيون الموحدين»، «ثلاثة الأصول» وبلغ الأئمة بذلك، لكن لا أدري هل الأئمة أئمة المساجد هل استجابوا أم لا؟

في الحقيقة أنهم ينبغي لهم أن يستجيبوا في مثل هذه المسائل فإنه ناتج عن دراسة ومعرفة، يعني مسجد ما يقرأ فيه التفسير كان أئمتنا وعلماءنا رحمهم الله وآخرهم الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كل يوم يقرأ التفسير ما بين الأذان إلىٰ الإقامة، يقرأ «تفسير ابن جرير» كذا مرة، «ابن كثير» قرئ مرات، يستفيدون، وخير لهم من أن لا يأتوا إلىٰ المسجد متأخرين.

فإذا كان التفسير يقرأ عليهم لا شك ترىٰ العامي يتقبله بقبول حسن؛ لأن لغة تفسير ابن كثير وابن جرير سهلة واضحة، وخاصة ابن كثير سهلة واضحة، يوجد أشياء وإسرائيليات وأخبار وتطول لكنها لا تمنع عن تلقي معرفة التفسير.

فمثل هذا ينبغي أن يعتني به الأئمة، يقرؤوا، يخصصوا من وقته أو بين الأذان والإقامة أن يقرأ في ذلك لعله أن ينتفع بذلك إن شاء الله تعالىٰ، ينتفع الإمام بإمرار التفسير وينتفع المستمع.

أما تخصيص كتاب في ذلك، برنامج الوزارة في نشر الدروس العلمية فيه برنامج كبير إلىٰ الآن ما اتخذت خطواته النهائية في إقراء الدروس في المساجد جميعا وترتيب ذلك في القرىٰ والهجر والمحافظات والمدن لكنه مشروع كبير يحتاج إلىٰ بعض الوقت الزائد لترتيب أوراقه وإنفاذه إن شاء الله تعالىٰ.

بالنسبة للتفسير ما شرعت الوزارة في تفسير مطول للقرآن لأن التفاسير ولله الحمد موجودة. نعم

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك محمد.